(قولهُ فلتتها على رأسي ادرت بعضها على بعض على غير استواء الصلائق ما عمل بالنار طبخًا وشيًّا يقال صلقت الجنب اذا شويتهُ وصلقت اللحم اذا ضجتهُ على وجههِ . وسبائك يريد ما يسبك من الدقيق فيؤخذ خالصهُ يريد الحوّارى والصناب صباغ يتخذ من الخردل والزبيب ومن ذلك قيل للفرس صنابيّ اذا كان في ذلك اللون . اكسار بعير فان الاكسر والجدل والوصل العظم ينفصل بما عليهِ من اللحم . نعى على قوم شهواتهم عليهم بها ووبخهم . غرت ذهبت يقال غار الرجل اذا اتى الغور وناحيتهُ مما انخفض من الارض وانجد اذا اتى نجدًا وناحيتهُ مما ارتفع من الارض . غربهُ حدهُ . خفين مطارقين مطبقين يقال طارقت نعلي اذا طبقتها ومن قال طرقت او اطرقت فقد اخطأ)

هذا ما ساعد عليهِ المقام للبحث في الكامل وهو على الجملة من خير ما في الايدي من كتب الادب مشكول محل الاشكال من الفاظهِ تغلب الصحة والضبط على الطبعة المصرية منهُ حريٌّ بالمكاتب ان تزدان بهِ وبالناس ان يتأدبوا بالنظر فيهِ ولا غرو فهو الكامل باسمهِ وسماهُ والكمال لله وحدهُ

محمد كردعلي

فردريك الكبير ملك بروسيا

تمهيد — اذا بسط القارئُ اللبيب خريطة اوربا امامهُ يرى في شماليّ المانيا على سواحل البلطيك بقعة من الارض حول برلين يقال لها براندنبرج Brandenburg كانت امارةً مستقلة تحت زعامة مركيز من آل هوهنزلرن Hohenzollern والى شرقيها بقعة اخرى يقال لها امارة بروسيا تحت امرة دوق . ففي بدء القرن الثامن عشر كان صاحب براندنبرج اميرًا خطيرًا ذكيّ الفؤاد وفيهِ دهاءٌ سياسيّ وطمعٌ شديد فغلب على بروسيا وضمها الى امارتهِ وجعلهما مملكة واحدة باسم مملكة بروسيا بمصادقة امبراطور المانيا واتخذ برلين عاصمة واقام فيها ملكًا باسم الملك فردريك الاول وكان لهُ ولد في العاشرة من عمرهِ اسمهُ فردريك وليم جعلهُ وليًّا للعهد حتى اذا ادرك الثامنة عشرة زوّجهُ بصوفيا دوروثي بنت جورج منتخب هانوفر الذي تبوأ بعد حين عرش انكلترا وتلقب الملك جورج الاول

مولد فردريك وحداثتهُ

وفي ٢٤ يناير سنة ١٧١٢ وُلد لولي العهد غلامٌ سماهُ فردريك والمملكة البروسيّة يومئذٍ في السنة الثانية عشرة من عمرها فلما بلغ الشهر الرابع عشر توفي جدهُ فردريك الاول مؤسس

الدولة ووسدت الأريكة لابيهِ فردريك وليم فاصبح هذا الطفل وليًّا لعهدهِ

وكان الملك الجديد غريب الاطوار غرابةً حملت مؤرخيهِ على رميهِ بالجنون فبدأ ملكهُ بصرف بطانتهِ وخدمهِ وبيع خيولهِ والاقتصاد في النفقات واطّراح ما توجبهُ ابهة الملك والرجوع الى شظف العيش والكد في العمل . ولو وقف عند هذا الحد لاجاد وافاد ولكنهُ تجاوز الى الافراط فيهِ فكان يسير بين الناس في الشوارع متوكئًا على عصاهُ يضرب بها من غير حساب كل من استثار غضبهُ ولو كان الذنب طفيفًا لكن البزة والاقتداء بالفرنسويين ولا فرق عندهُ ان يكون المضروب رجلاً او امرأةً والرجل كبيرًا او صغيرًا ولهذا كان الناس يهربون من بين يديهِ

ومع ان المملكة كانت ضيقة النطاق ودخل خزينتها قليلاً فان الاقتصاد مكّن صاحبها من جمع المال الكافي لحشد جيش جرّار يناهز المئة الف من الرجال ومن تدريبهِ تدريبًا حسنًا حتى اصبح قوةً عظمى تضاهي قوى اعظم الدول يومئذٍ على انهُ كان يقوم على تدبير ذلك بنفسهِ غير مدخرٍ وسعًا ولا مشفقٍ على الجند من تحمّل الصعاب

ورأى ان يربي ابنهُ تربيةً عسكرية ليكون جنديًّا ولكن الطفل كان نحيفًا ولم تبدُ منهُ امارات النشاط والقوة اللازمتين للجندي فضلاً عن انهُ كان محبًّا لاختهِ ولهلمينا حبًّا مفرطًا وفيهِ ميل للقراءة والموسيقى فحسبها ابوهُ تخنثًا ونشأت فيهِ عاطفة الاحتقار للطفل ثم ازدادت شدةً حتى صارت كرهًا

كل هذا وفردريك او فريتز كما كانت تدعوهُ اسرتهُ طفل صغير فلما بلغ السادسة من عمرهِ حشد ابوهُ سريةً من ابناء السراة عدتهم مئة وجعلهم تحت امرةِ ابنهِ ثم زاد في عددهم حتى صاروا كتيبةً اقام فريتز عليها قائدًا برتبة امير الاي (كولونل)

وفي السنة السابعة من عمرهِ سلمهُ للمعلمين وامرهم ان يعلموهُ العلم والفن العسكري بمنتهى الشدة والصرامة غير مشفقين عليهِ ولا ناظرين الى مقامهِ منهم فاحتمل من هذا التعليم اشد العناء سيما من استصحاب ابيهِ لهُ في رحلاتهِ وفي استعراض الجيوش

وترعرع فريتز ناشئًا على غير ما احب ابوهُ من الامیال والاذواق لان فردريك وليم اراد تعويدهُ شظف العيش في الطعام والمنام واللباس والمبيت فلم يقع ذلك من الغلام موقع القبول بل كان عليهِ مرغمًا

ولم يكن هذا كل الاختلاف بين الاب وابنهِ بل اختلفا في التعليم ايضًا لان الملك كان اميًّا لا يحسن القراءة والكتابة بخلاف فريتز فانهُ مال الى المطالعة منذ الصغر وكلف بدراسة اللاتينية كلفًا شديدًا غير ان اباهُ كان يكره تلك اللغة حتى اذا دخل يومًا على ابنهِ وهو يقرأ على

استاذهِ في كتابهِ لاتيني احتدم غيظاً ورفع عصاهُ ليضرب الاستاذ ففرَّ هارباً

واذا كان هذا مبلغ سخط الملك من دراسة لغةٍ كانت لذلك العهد عنوان العلم والحكمة عند الاوربيين فكيف يؤاخذ على غضبهِ من اشتغال ابنهِ بالموسيقى ونظم الشعر

وما برحت مسافة الخلاف تزداد بينهما انفراجاً يوماً بعد يومٍ حتى تنغَّص عيش الصبي وبات لا يرى لهُ فرجاً الاَّ بمحبة امهِ واختهِ ولهفتهما عليهِ غير ان الملك شعر بمقامهِ منهما فسرت اليهما بغضاؤهُ — كل ذلك والصبي دون العاشرة من عمرهِ على انهُ في تلك الآونة رُزق الملك صبي آخر سماهُ اغوسطس وليم فمال اليهِ وتمنى لو يموت فريتز فتكون ولاية عهدهِ للطفل وهو ينشئهُ على ما يحب . ومع هذا كلهِ ما برح يشدد النكير على فريتز لتخلق باخلاقهِ

امانيُّ الملكة

كانت الملكة صوفيا دوروثي من فضليات النساء اللواتي يحرصن على اولادهن وينظرن نظراً بعيداً الى مصالحهم وكان لاخيها (جورج) ولي عهد انكلترا ابن اسمهُ فردريك دوق كلوستر هو خليفتهُ من بعدهِ وابنة حسناء اسمها اميليا فخطر للملكة ان تسعى بزواج ابنها باميليا وابنتها وهلمينا باخيها الاَّ انها صادفت صعاباً لان اخاها وزوجها كانا قد اجتمعا في حداثتهما واختلفا فاختصما ونتج عن خصامهما كرهٌ شديد . فضلاً عن ان بعض الدول الاوربية رأت ان العقد المزدوج يزيد الرابطة وثوقاً بين انكلترا وبروسيا فتنال هذه بذلك حولاً وعزة

الاَّ ان الملكة لم تدخر وسعاً بل سعت جهدها فاقرَّ البلاط الانكليزي على خطبة الاميرة وهلمينا لدوق كلوستر ولكنهم لم يقطعوا العدال في اعطاء يد الاميرة اميليا لفريتز

وكان لامبراطور المانيا سلطة على الملوك والامراء الخاضعين لسيادتهِ فكأنهُ رأى يومئذٍ ان بروسيا على صغرها اصبحت ذات حولٍ وطول بقوة عسكرها المدرَّب وان خزينتها قد طفحت بالنقود فخاف من استفحال امرها اذا تمَّ العقد المزدوج الذي تسعى اليهِ الملكة فاصدر امراً يحظر بهِ الزواج المنويّ

ولم يكن الملك فردريك وليم ليعتمض لهذا المنع لانهُ ينطبق على رأيهِ وانما كان راغباً فقط في تزويج ابنتهِ بالامير الانكليزي وليس براضٍ عن تزويج ابنهِ لئلا تجيء عروسهُ من انكلترا بالثروة الطائلة وبالعيش الهنيء الذي لا يرضاهُ ويخشى ان يلتفَّ حولها جماعة من بطانتهِ فيتألف لابنهِ حزبٌ ينازعهُ الامر على ان في رفضهِ واصرارهِ مخالفة يتوخاها لملك انكلترا . ولهذا كلهِ رضخ للامر الامبراطوري واجاب انهُ يسمح بزواج ابنتهِ فقط اما ابنهُ فلا ولما علم ملك انكلترا بذلك اعلن انهُ راغب في العقدين معاً وليس في واحدٍ منهما فقط

وفي يونيو سنة ١٧٢٩ ورد نعي الملك جورج ملك انكلترا ومع ان فردريك وليم كان يكرههُ شديداً تأثر لموتهِ وشرع يظهر التدين والتقشف

يعطي ويمنع لا بخلاً ولا كرماً لكنها خطراتٌ من وساوسهِ

وفي تلك السنة استصحب ابنهُ وهو في السابعة عشرة من عمرهِ للاجتماع باغسطس ملك بولونيا وقد اتى درسدن عاصمة ساكسونيا فاقام فريتز ثمة نحواً من شهر حيث كان البلاط مملوءاً بالفساد فوقع في شركهِ حتى اذا عاد الى بوتسدام مرض مرضاً شديداً لازمتهُ الوعكة منهُ زمناً طويلاً بعد شفائهِ

اما امهُ فظلَّ مبدأ العقد المزدوج شغلها الشاغل لان اخاها جورج الثاني تولى الاريكة الانكليزية واصبح ابنهُ وليًّا لعهدهِ ولم يكن فريتز قد رأى اميليا ابنتهُ ولكنهُ رأى صورتها وابصر عليها ملامح الجمال فرغب فيها وكتب الى امها باشارة الملكة ينوه برغبتهِ في مصاهرتها من غير ان يعلم ابوهُ بشيء من ذلك ولو علم لقامت قيامتهُ لان كره الفتى كان قد بلغ فيهِ اشدهُ واصبح يحقرهُ ويضربهُ في الاحايين بقبضة يدهِ على اذنيهِ او بعصاهُ اينما اتفق كل هذا وفريتز يحاول استرضاءهُ عبثاً فكتب اليهِ مستعطفاً فاجابهُ معنفاً لائماً محقراً ما شاءت فظاظة اخلاقهِ

واذ كان مدمناً شرب الخمر أصيب بداء النقرس فزادت يدهِ شراسة الخلق وشكاسة الطباع واصبح يندفع بالشتائم والسباب على امرأتهِ وكل اسرتهِ حتى لم يبقَ لاحدٍ منهم جسارة عليهِ الاَّ ابنتهُ الثانية فردريكا على انها كانت يومئذٍ في الخامسة عشرة من عمرها وقد اوشكت تزف لخطيبها الماركيز انسباخ فسألها ابوها يوماً على المائدة عما تنوي عملهُ في ترتيب بيتها بعد زواجها فاجابت انها تجعل طعام مائدتها احسن من طعامهِ وخدمتها اكثر ترتيباً واذا رزقها الله اولاداً عاملتهم بالحسنى على غير ما يعامل اولادهُ ولا تجبرهم على اكل ما يكرهون

فامتعض لهذا الجواب واحدم غيظاً ولكن على ولهلمينا وفريتز وشرع يضربهما بالصحاف الطعام فلما اخطأها عنف الملكة لسوء تربية اولادها . فنهض القوم عن المائدة ولكنهم لم يجدوا منصرفاً الاَّ بالمرور من امام كرسيهِ فرفع عكازهُ وصوَّبهُ على رأس ولهلمينا فحلت من تحت الضربة ولو اصابتها لاودت بحياتها فلم يرضهِ هربها واوعز الى الخدم ان يجروا الكرسي الجالس عليهِ للحق بها وكاد يدركها لو لم يفسح اولئك الخدام لها مجالاً

وفي ذات مرةٍ كان فريتز يتعلم الموسيقى على استاذ ساكسوني اسمهُ كوانتز وهو مستترٌ في بوتسدام فدخل عليهِ الرقيب واخبرهُ بوصول ابيهِ وكان الفتى لابساً حلة افرنسية تخلعها ولبس الرداء العسكري وجلس يتظاهر باشتغالهِ بدروسهِ فلما دخل الملك رآهُ ضافراً شعرهُ على

الطرز الافرنسي ثم ابصر الحلة التي خلعها عنهُ فاحتدم غضبًا والقى بها في النار ومال الى المكتبة وجمع ما كان فيها من المؤلفات الافرنسية وامر كتبيًّا ببيعها بابخس الاثمان وعنَّف وليَّ عهدهِ تعنيفًا شديدًا

الجنون فنون

في سنة ١٧٣٠ ذهب فردريك وليم الى بولونيا واستصحب ابنهُ معهُ ليحضرا استعراض الجنود فلم يفترعن اهانتهِ في حضرة مضيفهما ملك بولونيا وسراة بلادهِ من الرجال والنساء فعظم ذلك على فريتز حتى عقد العزم على الفرار الى انكلترا بصحبة صديقهِ الملازم كات ولكن علم ابوهُ بذلك فارسل وقبض عليهما ولما جيء بابنهِ الى حضرتهِ نهض اليهِ وقبض على تخنقهِ ثم انتلع يدهِ خصلة من شعر راسهِ وبعد ذلك ضربهُ بعصاهُ على وجههِ فادماهُ وامر بسجنهِ في احدى القلاع لانهُ اعتبرهُ من قادة الجند وقد حاول الفرار فاستحق العقاب بالموت وشرع يقول انهُ لا بد من الحكم عليهِ وعلى اخيهِ ولملمينا وقطع رأسيهما ولم يكن لولملمينا ذنب الاَّ حبها لاخيها واشفاقها عليهِ ثم امر فقبض عليها وجيء بها اليهِ فشرع يضربها على صدغيها حتى اغمي عليها فاراد ان يقذف بها من النافذة ولكن امها واخوتها حالوا دون عملهِ ولما افاقت حبسها في حجرتها واقام رجلين على حفارتها

وعقد مجلسًا حربيًّا حكم على الملازم كات بالحبس سنتين وقيل مدى الحياة فاغاظ من حلم المجلس وامر بهِ فقتل في ساحة القصر وجاؤوا بفريتز الى النافذة لدى مقتل صديقهِ فلما ابصر الرأس وقد تدحرج أُغمي عليهِ كأنهُ علم انهُ حكم عليهِ بمثل ذلك

الاَّ ان سخط الملك لم يأخذ حدَّهُ لان امبراطور المانيا وملكي بولونيا واسوج عرفوا بعزمهِ على قتل ابنهِ واستفدحوا الخطب فيهِ فسعوا لديهِ بالعفو عنهُ فعفا

واعقب هذا ان فردريك وليم اراد غصب عاطفة ولديهِ فارغم ولملمينا سنة ١٧٣١ على التزوج من مركيز بيريث .Bairenth واجبر فريتز على التزوج سنة ١٧٣٣ بالاميرة اليصابات بنت دوق برونسويك وكانت حسناء الخلق والخلق ولكن زوجها لم يمل اليها لانهُ غصب على التزوج بها حتى انهُ لما تمت حفلة الاكليل خرج من حجرتها ولم يرجع اليها قط فكان ذلك بدء انفصالهِ الذي استمرا عليهِ محابة اياهما غير ان فريتز لم يكن ليهمل احترامها ومراعاة شأنها في الرسميات بل كان ينيابها من نفسهِ مقام الاميرة زوجة وليّ العهد ثم مقام الملكة حين افضت الاريكة اليهِ بوفاة ابيهِ سنة ١٧٤٠

تملُّك فردريك

تولَّى فردريك (فريتز) الاريكة وهو في الثامنة والعشرين من عمرهِ بعد ان قاسى العذاب

من ابيهِ واحتمل مضض البلوى حتى اثَّرت السيئة في اخلاقهِ وكانت مملكتهِ تناهز ٥٩ الف ميل مربع وعدد سكانها مليونين و٢٤٠ الفاً ولم يكن في دولتهِ دار ندوةٍ ولا دستور ولا شريعة غير ارادتهِ المطلقة فلما تبوأ الملك اعلن في الامة منشوراً يطلق فيهِ الحرية في الدين والآراء ونشر الكتب والجرائد

وكأن الاريكة بعثت فيهِ روحاً جديدة عرَّفتهُ الشأن الملكي فلم يحفل بالاصدقاء الذين كانوا يلتفون حولهُ ولا عاقب الاعداء الذين اظهروا لهُ الجفاء ولم يكن من قبل يبالي بالجندية بل كان يكره منها خشونة عيشها ولكنهُ مذ القيت اليهِ مقاليد الامور مال بكليتهِ اليها وشرع يزيد في عددها وبذل جهدهُ في الاهتمام بشؤون الدولة مخصصاً للعمل بها معظم وقتهِ

وكان ميالاً الى العلم والعلماء فسعى في تقريبهم منهُ وتنشيطهم وزيادة سوادهم في مملكتهِ وانشأ لهم مجمعاً علمياً وشرع يراسل علماء اوربا واخص منهم ڤولتير الفرنسوي الشهير

حروب فردريك ومغازيهِ

حدثتهُ نفسهُ منذ بدء جلوسهِ بالفتح والكسب فارسل سريةً من عسكرهِ الى حصنٍ قديم فامتلكهُ حتى افتداهُ صاحبهُ بمبلغ من المال

وبعد ذلك مات الامبراطور شارل السادس غير تاركٍ ولداً ذكراً فتولَّت اريكة النمسا ابنتهُ ماريا تريزا زوجة فرنسوى ديوك لورين وكانت في مقتبل العمر لم تحنكها التجارب وليس في خزينتها مالٌ وافر ولا في مملكتها جيش منظم فطمع فردريك في امتلاك شيء من بلادها واتجهت انظارهُ الى قطرٍ على تخومهِ الجنوبية الشرقية يسمى سيليسيا Silesia فيهِ نحو مليونين من السكان ولم يرَ في اقتحامهِ وضمهِ الى مملكتهِ امراً عسيراً لخلوهِ من الحامية ومن الحصون والقلاع فلما انتصف الشتاء ولم يبقَ خوفٌ من ارسال بعوثها دخل القطر ودوخهُ في بضعة اسابيع وعاد الى برلين ظافراً منصوراً

فنهضت ماريا تريزا كأنها اللبوة تحمي اشبالها فادهشت اوربا وحيَّرت فردريك فسيَّر الى سيليسيا ستين الفاً فاحتدم القتال وكان هائلاً لاسيما وان الدول الاوربية تحمزت للقتال وخاضت غمراتهِ في نصرة احد الفريقين جرياً مع السياسة على ان معظم الناس حتى الملوك والوزراء استعظموا فعلة فردريك واستعظموا نهضة ماريا تريزا ولكن فرنسا كانت ترغب في اضعاف النمسا فنصرت بروسيا وخالفتها انكلترا شأنها حينئذٍ في كل اعمالها وانحازت الى النمسا ودخول هاتين الدولتين في الحرب جرَّ ذيلهُ على غيرهما من الدول الاوربية كاسوج وبولونيا فضلاً عن الممالك والامارات الالمانية فاصبحت اوروبا كشعلة نار اتصل لهيبها الى مستعمرات

الدولتين فرنسا وانكلترا ولا تسل عن الدم المهراق وعن المال المبذول فان ذلك يكاد لا يقع تحت الحصر ولما وقع النزال اظهر فردريك من الحنكة والدربة في ابواب القتال والدهاء في السياسة ما اكسبهُ الظفر ولكنهُ لم يرع للفرنسوية عهدًا بل صالح على امتلاك نيس Neisse سرًّا عن انصارهِ وعاد الى برلين في اواخر سنة ١٧٤١ ظافرًا

ثم سعى فحالف فرنسا وساكسونيا وباڤاريا على تجديد الحرب لامتلاك ولاية مورافيا Moravia النمسوية الواقعة الى جنوبي سيليسيا حتى اذا تمَّ لهم الظفر احتزَّ منها قطرًا عرضهُ نحو خمسة اميال على طول تخومهِ وترك الباقي غنيمة لساكسونيا

وزحف في بدء سنة ١٧٤٢ غير مبالٍ بالامطار والثلوج والعواصف غير ان حلفاءهُ لم يكونوا مندفعين الى الحرب بمثل مطامعهِ فتلكأوا عن خوض غمرات القتال في ابَّان الشتاء فانفرد بالعمل لا يعبأُ بالصعاب وابلى ابلاءً حسنًا حتى ظفر فعاقدتهُ النمسا على الصلح تاركةً لهُ سيليسيا . فشرع يسدد شؤونها ويسعى بنشر الامن في بلادهِ منحرفًا في سياستهِ عن خطة حلفائهِ الى موالاة النمسا ظاهرًا لكن ذلك لم يكن طويل الامد لان ماريا تريزا ارادت تتويج زوجها الدوك فرنسوى ده لورين امبراطورًا على المانيا تخالفها فردريك واحبط مسعاها بمساعدة فرنسا فانتخب شارل البرت ملك باڤاريا امبراطورًا

ولم تكن ماريا تريزا قد اعترفت بمصافاة فردريك ولكنها قعدت عنهُ حتى فازت عساكرها على فرنسا وفتحت بوهيميا وباڤاريا وطردت الامبراطور الجديد ورأت ان الحروب الدامية قد مرَّنت عسكرها على القتال واظهرت حنكة بضعة من كبار قادتها واستنزفت الامة للذود عن حياضها يومئذٍ حدثتها نفسها باسترجاع سيليسيا

فلما عرف فردريك بذلك مال سنة ١٧٤٤ الى فرنسا تخالفها وعاقد امبراطور المانيا المطرود على الولاء واشترط على حلفائهِ ان ينال جزاء الظفر ثلاثًا من ولايات بوهيميا

ثم اقتحم بوهيميا واحطَّ على حاضرتها براغ Prague وثمَّت وقعت الحرب الطائلة فجرَّت الويل على البلاد ونال عسكرهُ من الجوع والقتال نيلاً عظيمًا حتى اضطر ان يلجأ الى سيليسيا في ابان الشتاء وان يعاني في القهقرى اليها اشد العناء فانزل العسكر في قراها واتى برلين ليمدَّ الاهبة لمتابعة الحرب وكانت غزواتهُ قد استنزفت مال الخزينة وما اذ دخر ابوهُ . ثم وردهُ النبأُ بان النمسويين الظافرين لاحقون بعسكرهِ المخذول الى سيليسيا وان الامبراطور الالماني قضى نحبهُ كل ذلك وفردريك لم يظهر الضعف كأن الصعاب لا تقوى على ايهان قواهُ اذ عاد الى ساحة الحرب وقاتل الاعداء قتالاً مريعًا فظفر بهم وردهم على الاعقاب خاسرين وفتح درسدن

عاصمة ساكسونيا وعاد الى برلين منصوراً سنة ١٣٤٦

فوضعت الحرب اوزارها بضع سنوات قضاها فردريك وهو يدبر شؤون بلاده ساعياً في انماء ثروتها عاملاً على تحسين صنائعها وتعزيز تجارتها ونشر الآداب فيها

لكن ماريا تريزا لم تكن خلال ذلك راضية عن اغتصاب سيليسيا من قبضتها بل كلما ذكرت على مسمعها اذرفت عليها الدمع سخيناً وكان على اريكة روسيا يومئذٍ الامبراطورة اليصابات وهي تكره فردريك كرهاً شديداً فمالت الى النمسا وحالفتها عليه وكانت بولونيا اتبع لروسيا من ظلها فلحق ملكها بالامبراطورة وكذلك انضمت فرنسا الى الحلفة لانهُ كان لملكها عشيقة يقال لها الماركيزة ده بومبادور وقد غلبت عشيقها على التصرف بامره وكان قد بانها ان فردريك يهزأ بها ويسخر من تسلطها فامتعضت وحملت الملك على الانضمام الى اعداء فردريك

وعلم فردريك بما كان وان القوم يتألبون عليه حتى اذا غلبوهُ اقتسموا بلادهُ بينهم لا يتركون لهُ منها الاَّ امارة صغيرة لا شأن لها فتحفز لمفاجأتهم وكانت فرنسا حينئذٍ تحارب انكلترا مصوّبة نظرها لامتلاك هانوفر فتحالف فردريك والانكليز لكن هذه الحلفة لم تجدِ بروسيا نفعاً لان قوة انكلترا كانت بحرية اكثر منها برية ولذلك انحصرت المساعدة الانكليزية باداء نحو ثلاثة ملايين ريال في السنة

اما فرنسا فحشدت على الرين جيشاً جراراً وكذلك اجتمع الروس في بومارانيا والنمساويون على تخوم سيليسيا وانضم السويديون الى الحلفة ووقفوا في ليفونيا وبهذا التألب اصبحت بروسيا محاطة بنطاق من الاعداء غير ان فردريك سار بمئة الف من كماتهِ فاقتحم ساكسونيا وفتح عاصمتها درسدن وضرب على اهليها ضريبة فاحشة فجاء النمساويون لنصرة حلفائهم ووقعت بينهم الحرب هائلةً فاجلت عن انكسار النمساويين وارتدادهم فاسرع فردريك الكرة الى بوهيميا حيث وجد العدو مخيماً في ظاهر حاضرتها براغ فحمل عليهم حملةً صادقة كثرت فيها القتلى من الجانبين ولكنها اجلت عن نصرهِ والتجاء النمساويين الى المدينة فحصرها وصب عليها نيران المدافع وفتك فيها الجوع والوباء وما زال يشدد عليها الحصر حتى جاء النمساويون لنجدتها فوقع القتال وانكسر فردريك فارتدَّ بمن بقي من جيشهِ الى قلعة برسلو في سيليسيا ولحق بهِ النمسويون والفرنسويون فواقعوهُ واجلوهُ عن القلعة وظنوا ان قوَّتهُ قد اضمحلَّت ولكنهُ عاد فكسرهم في اواخر سنة ١٧٥٧ واسر منهم عشرين الفاً وغنم غنائم وافرة وكرَّ على برسلو فملكها ثانيةً وزحف منها على الروس فردهم خاسرين وطردهم من البلاد ثم مال على الاسوجيين ففروا من لقائهِ

وفي الربيع التالي تجدد القتال فانكسر فردريك وشدَّ المتحالفون روابط الاخاء وانضمت

اليهم كل ممالك المانيا واماراتها الكاثوليكية لان بروسيا ونصيرتها الكلترا بروتستانتيتان فزحف سنة ١٧٥٩ عسكر المتحدين فرنسا والمانيا وروسيا وبولونيا واسوج على فردريك فلقيهم بثمانين الفاً عند فرنكفورت فكسرهم ابتداء ولكنهم عادوا فكروا عليهِ وكسروهُ وارتدَّ في ظلام الليل فلم يلحقوا بهِ واذ كان هيهاتَ لا تضعضع حوادثُ النوائب بل تزيدهُ همةً ونشاطاً اسرع فلمَّ شعث جيشهِ المكسور واستحضر المدافع من القلاع الداخلية فاصبح بعد اندحارهِ بيضعة ايام واقفاً لموافقة العدو حتى زمن الشتاء. وتعذر القتال فانفصل المتحاربون ولكنهم عادوا في ربيع سنة ١٣٦٠

وكان كلاة البروسيانيين المدبرين قد ذهبوا وقوداً لنار الحرب فملأ فردريك مواضعهم بمن اخذ من الاحداث والفلاحين واسرى الاعداء حتى اجتمع لديهِ من هذا الخليف خمس وسبعون الفاً برز بهم لقتال مئتين وخمسين الفاً والفاهم بحذقهِ وذكائهِ حتى ادهش العالم وحارب فانتصر في معظم المواقع واحبط مساعي المتحدين فارتدوا اونة الشتاء مدحورين

ولم تكن مواقع سنة ١٧٦١ ذات نتائج مهمة لان فردريك تحصَّن في موقع منيع لم يجسر المتحدون على الدنو منهُ ولكنهم حصروهُ طويلاً حتى الشتاء فانقلبوا راجعين

يومئذٍ املك الانكليز عن فردريك اداء المساعدة الماليَّة واوشك اليأس يستولي على البروسيانيين لو لم ترد الانباء بموت اليصابات امبراطورة روسيا في بدء سنة ١٧٦٢ فخلفها بطرس الثالث وكان كارهاً لماريا تريزا محبًّا لفردريك فاصدر امرهُ بانسحاب عسكرهِ من بين المتحدين وانضمامهم الى فردريك وحقق بهم الاسوجيون على الاثر غير ان فردريك لم يتنفع من هؤلاء النصراء لان بطرس الثالث قُتل وشيكاً وخلفهُ امرأتهُ كاترينا الثانية فاستدعت عسكرها من ساحة القتال

وبعث فردريك فدسَّ لرجال الدولة العلية العثمانية ان يحاربوا النمسا فاجابوا ثم نهض وهاجم النمساويين فكسرهم كسرةً هائلة ذهبت باموال ماريا تريزا لما رأت من فراغ خزينتها وتقدم العثمانيين اما فردريك فشرع ينهب بوهيميا وساكسونيا حتى اسرعت النمسا لمصالحتهِ مصدقةً على قسمٍ سيليسيا الى ملكوفتمَّ الصلح سنة ١٧٦٣ وبهِ تمَّت حرب السنوات السبع

ولما عاد فردريك الى بلادهِ ظافراً صرف عنايتهُ الى اصلاح مملكتهِ وتقدمها فاسرعت في الارتقاء على انها ولئن حاربت السنين الطوال واستطالت بالغلب على جوارها فما برحت ضيقة النطاق قليلة الساكن لا تباري في السعة والعدد والغنى الدول العظمى التي بارتها في القتال ولذلك كان من مقاصد ملكها ان يوسع نطاقها ما وسعهُ الجاهد

وكان في جوارهِ مملكة بولونيا مساحتها ٢٨٤ الف ميل مربع وعدد سكانها عشرون

مليونًا وفي تناخم ايضًا النمسا وروسيا وكانت الفوضى ضاربةً اطنابها فيها فشرعت الدول الثلاث تتباحث في شؤونها في خلوات سريَّة عازمةً على اقتسامها ولعلَّ هذا العزم خطر لفردريك اولاً لانهُ اشد معاصريهِ طمعًا وقد سعى لنيلهِ حثيثًا. الا تراهُ قدَّم لروسيا لائحةً اولى فشغلت عن اجرائها ثم خلا في نيس بامبراطور المانيا الذي انتهت اليهِ الامبراطورية سنة ١٧٦٩ فزيَّن لهُ ذلك بالرغم عن ارادة امهِ ماريا تريزا ثم اعاد عليهِ الكرة سنة ١٧٧٠ حتى ارتضى وعاد فردريك فقدَّم لروسيا لائحة التقسيم ثانيةً فاجازتها على ان يكون لها ٨٧٥٠٠ ميل وللنمسا ٦٣٥٠٠ ميل ولروسيا ٩٤٦٤ ميلاً فقط

ثم اتخذ الحلفاء صندوقًا عامًّا ادروا عليهِ من اموال خزائنهم الثلاث وانفقوا منهُ عن سعةٍ في استرضاء بعض نبلاء بولونيا وبعد هذا سيروا جموعهم فملكوا البلاد ونال فردريك جزاء عملهِ

ومذ ضمَّ القطر البولوني الى مملكتهِ شرع في اصلاحهِ بهمةٍ حملت واصفيهِ على القول ان عملهُ في السلم كان عظيمًا يعادل عملهُ في الحرب . وهكذا ظلَّ يزيد في عزة ملكهِ حتى توفي في ١٧ آب سنة ١٧٨٦ في الخامسة والسبعين من عمرهِ والسادسة والاربعين من ملكهِ

ولقد انصفهُ من لقبهُ بالكبير الَّا ان اراءهُ الدينية والاديبةَ كانت منحطةً كثيرًا تسقط من قدر اعمالهِ العظمى في الحرب وكانت لهُ مشاركة في التأليف اذ الَّف تاريخًا لعصرهِ سمَّاهُ Histoire de mon temps اسهب فيهِ بذكر شؤون اوروبا في ذلك الحين واعتمدهُ المؤرخون في نقلهم

واذ رأى بلادهُ من غير شريعة ترتاح اليها النافسة الجديدة وضع لها سنة ١٧٤٦ شرعة الاصلاح المعروفة بقانون فردريك Code Frederick

جرجي يني

منزلة الشعر من التاريخ

﴿ ٣٦ ﴾ الندية

وكانوا عقيب الحرب يعمدون الى مفاداة الاسرى وكثيرًا ما يفتدي الاسير نفسهُ بشيءٍ معيَّن قال القطامي

فني نادي اسيرك ان قومي وقومكِ لا ارى لهمُ اجتماعا

وقد صرَّح ابو اذينة اللخمي ابن عم الاسود بن النعمان اللخمي بان الفدية تكون اما من الخيل والابل واما من الفضة والذهب حيث قال